مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (30) العدد (2)2008
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (30) No. (2) 2008

العجائبية بين الواقع والخيال

الدكتور فاخر ميا [*]
الدكتورة أحلام حلوم [**]
هدى الحافي[***]

(تاريخ الإيداع 31 / 8 / 2008. قبل للنشر في 17 / 12 / 2008)

□ الملخّص □

لعلّ اختراق قوانين الواقع ، والولوج إلى عوالم خفية، سيفضي بالضرورة إلى دلالات جديدة، ومن شأن ذلك أن يصرف الذهن إلى الفصل بين الواقع والخيال كحدين متناقضين ضمن إطار العجائبية.

وجل ما أتوخاه ، في هذا البحث ، أن يستطيع القارئ إدراك طبيعة العلاقة بين الواقع والخيال، وأن تتكون لديه صورة لأهمية الخيال ، ودوره الفاعل في التعبير عما يمور في المجتمع من متغيرات ، وما يعانيه الإنسان بسببها من مشكلات نفسية ، تجعل حياته – في أغلب الأحيان – غير مفهومة ولا معقولة .

الكلمات المفتاحية: العجائبية ، الواقع ، الخيال .

[*] أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .
[**] مدرسة – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .
[***] طالبة دراسات عليا (ماجستير) – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (30) العدد (2)2008
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (30) No. (2) 2008

The miraculous between reality and fiction

Dr. Fakher Mayya [*]
Dr. Ahlam Haloum [**]
Houda al-Hafi [***]

(Received 31 / 8 / 2008. Accepted 17 / 12 / 2008)

□ ABSTRACT □

To penetrate the laws of reality and access the hidden factors will necessarily lead to new meanings, and that would make the mind separate between reality and fiction as two contradictory poles within the framework of the miraculous. What I intend in the research is to make the reader be able to understand the nature of the relationship between reality and fiction, and to realize the importance of imagination and its active role in expressing the changes in society, and the psychological problems that the human being suffers, which make their life, in most cases, not understandable nor reasonable.

Key words: the miraculous , reality , imagination

[*]**Associate Professor , Department of Arabic , Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
[**]**Assistant Professor, Department of Arabic , Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria**
[***]**Postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia Syria.**

مقدمة :

تقدّم العجائبية في هذا البحث خصوصية ، تتجلى في محاولتها كشف الأسرار ، واختراق قوانين الواقع ، بزمانه ومكانه وأحداثه ، وفق أسلوب يتميّز بتفاعل غنيّ بين الإنسان وعالمه الداخلي من جهة ، وبينه وبين الواقع من جهة أخرى، وهذا التفاعل لا يقتصر على الواقع الراهن فقط ، وإنّما قد يظهر على السطح ما يؤمن به الإنسان من خرافات ، تعود به إلى عصور سالفة .

وكل ذلك وفق أسلوب يستخدم إمكانات اللغة وما فيها من إيحاءات شعرية، ومن غرابة إسناد الفعل إلى فاعله. وبهذا المعنى فإن العلاقة بين الواقع والخيال ، وإن بدت متطرفة اجتماعياً أو نفسياً ، فإن هدفها السعي إلى تصوير الواقع ، وتحليله ، ورصد انعكاسه على الإنسان .

وتأسيساً على ما سبق، فإنّ العلاقة بين الواقع والخيال ضمن إطار العجائبية تأتي خصبة مثقلة بالدلالة ، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر في استلهام كل ما من شأنه أن يكشف عن قضايا الواقع المعقدة .

لقد اتجه البحث إلى العجائبية ، لما فيها من تجاوز لحدود الواقع ، فمفهوم العجائبية يتحدد بالنسبة إلى مفهومي الواقع والخيال ، فهي وحسب تقديم تودوروف لها : ((التردد الذي يحسّه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية ، فيما يواجه حدثاً فوق طبيعي حسب الظاهر .

فإذا قرر أنّ قوانين الواقع تظل غير ممسوسة وتسمح بتفسير الظواهر الموصوفة ، قلنا إنّ لأثر ينتمي إلى جنس آخر : الغريب . وبالعكس ، إذا قرر أنه ينفي قبول قوانين جديدة للطبيعة ، يمكن أن تكون طبيعة مفسرة من خلالها ، دخلنا عندئذٍ في جنس العجيب .))[1]

وعلى الرّغم من اختراق العجائبية لعوالم الواقع وقوانينه بطريقة تجعلها تبدو غريبة، إلاّ أنّها استطاعت أن تقدم الواقع بطريقة فيها من النضوج ما يشجع على دراستها .

أهمية البحث وأهدافه:

لعلّ لجوء الأديب إلى عالم الخيال ، وظهور الهذيانات ، والأحلام ، والكوابيس ، من جهة . إضافة إلى ظهور المسوخ والكائنات فوق الطبيعية ، من جهة أخرى إنّما تعبر عن المعنى العميق لغياب الإحساس بجدوى الحياة ، فافتقاد العلاقة الحميمية بين النّاس ، وما يولده ذلك من إقامة علاقة مع الحيوانات ، ومع ظواهر الطبيعة ، ومع الأشياء . وما ينجم عن ذلك من مشاعر الخوف والدهشة ، تعكس أزمة الإنسان المعاصر . ولعلّ أهمية العجائبية تكمن في قدرتها على التعبير عن هذه الأحاسيس .

فالعجائبية بخيالها البعيد ((تخلق أثراً خاصاً في القارئ خوفاً أو هولاً، أو مجرد حب استطلاع الشيء الذي لا تقدر الأجناس الأخرى أو الأشكال الأخرى توليده)) [2] فالمخلوقات العملاقة، والمخلوقات الممسوخة والأشياء الغريبة ، تبدو ظاهرياً مجرد مبالغات، ولكن إذا غصنا عميقاً مع الكاتب ، سنجد أنّ هذه المبالغات تولد لتعبر بطريقة منطقية ، عن إحساس العجز والقلق الذي يعيشه أياً منا.

وبتوليد الرعب تحقق العجائبية أشدّ حالات التواصل مع الآخرين، لأنّها تخاطب قدرة الإنسان على التعجب ، والإحساس بالغموض ، وتخاطب إحساسه بالشفقة والألم، وللتعبير عن هذا الخطر البالغ السوء ، يكون المزج بين الواقع

---

[1] تزيفيتيان تودوروف . *مدخل إلى الأدب العجائبي* .تر:الصديق بو علام ، (القاهرة : دار شرقيات، 1994) ، ص 44 – 57 .

[2] تزيفيتيان تودوروف.*مدخل إلى الأدب العجائبي*. ص 95

والخيال، بين المنطق واللامنطق، ويكون الابتعاد عن الحقائق المنطقية ، وإرجاعها إلى قوى غيبية أو سحرية، بوصفها المسؤولة عن الرعب الذي يعيشه.

وبذلك يغدو البحث في هذا الأسلوب من التعبير ضرورياً ، لأنّ ما تحتويه العجائبية من عناصر مدهشة بشخوصها المخالفين للأشخاص العاديين إمّا نفسياً ، أو فيزيقياً ، وبأحداثها التي تخالف المألوف، إنّما هي تجسيد للحلم الإنساني في شكل أكثر عمقاً وكثافة ، فالرغبة بتجاوز الواقع ليست طارئة في الفكر الإنساني ، وإنّما تمتد بجذورها إلى القديم، منذ بدأ وعي الإنسان يتلمس موجودات العالم ، ويحاول إيجاد صيغة مناسبة لها، تتناسب مع تفكيره ، ونظرته إلى الأشياء وتعليله للعلاقات القائمة بينها. ((لقد آمن الإنسان البدائي بأنّ العالم كان مليئاً بقوى غير منظورة))[3]. والأديب من خلال رحلته إلى عوالم جديدة ، إنّما يحاول خلق الانسجام المطلق والقديم بين روح الإنسان وروح الكون، إنّه نوع من التعويض عن وجوده الراهن المفتقد للقيم المليء بالقيود ، وبذلك تهدف العجائبية إلى تحقيق حلم الحرية ، وهي ضمن هذا الإطار ليست هرباً أو انسحاباً من معركة الواقع، إنها دعوة إلى رؤيته بطريقة جديد، دعوة إلى تفسيره بوضوح فاهم لأحوال النفس وتقلباتها وغياهبها المظلمة البعيدة.فحركة الصراع الداخلي تبدّل طبيعة الأشياء ، وتفقد العلاقة المنطقية القائمة بين الأشياء دلالاتها، لتتصهر وفق تشكيلات جديدة، تخترق الطبقة الظاهرة للكيان الإنساني، وتتحرك على المستوى العميق المظلم.

منهجيّة البحث:

إنّ العجائبية في تقديمها العالم الداخلي للإنسان ، وما يختزنه من شحنات نفسية ، وتصورات عاكسة للاوعي في تداعياته الخيالية ، جعل المنهج النفسي من أكثر المناهج قدرة على تقديم فهم مختلف للعجائبية ، في تخيلاتها ، وابتعادها عن الواقع ، وفي الكشف عن الداخل الإنساني في أشد حالاته تجرداً وغربة .

واستناداً إلى ما تقدم ، فإنّ البحث يقدم محاولة تسهم في تعميق العلاقة بين الواقع والخيال، ضمن ملامح تكتسب خصوصيتها ، لأنّها تعبر عن كل ما هو عجائبي.

النتائج والمناقشة:

لقد قدّم الفن خلال_ مراحله المختلفة_ قدرة على تجاوز الوجود المادي ، وكشف عن درجة عالية من الغنى، سواء في الموضوعات التي عبر عنها ، أو في طريقة التعبير ، أو في الهدف الذي سعى إليه.

وما العجائبية إلاّ إحدى تلك الوسائل التي تقدّم للإنسان حلاً لكي يحيا من جديد تلك العلاقة الوطيدة بين الإنسان والعالم ، بين الإنسان والكائنات المرئية منها أو المخفية. ولعلّ هذا يقود إلى بحث العلاقة التي تجمع بين الواقع والخيال ، في الخطاب العجائبي ،والتّعرف عليها من وجوهها المختلفة .

علاقة العجائبية بالواقع والخيال:

هل للعجائبية علاقة بالواقع؟ أم أنّها وكما تشي به هذه الكلمة ابتعاد كبير عن الواقع وقوانينه؟ وتحليق في فضاء لا متناهٍ بعيداً عن أي انتماء!

[3] كولون ولسن . *الإنسان وقواه الخفية* .تر: سامي خشبة، (بيروت: دار الآداب ، ط 5 ، 1987)، ص15

إنّ تعبير الأدب عن الواقع يختلف باختلاف القوانين التي تحكم تطور حركة المجتمع عبر العصور. فـ ((كل فن يحدده عصره ، ويمثل الإنسانية بقدر ما يتلاءم مع أفكار ومطامح وحاجات وتطلعات وضع تاريخي خاص))[4].

فالعجائبية وما تقوم عليه من تحطيم – قد يكون قصدياً أو عفوياً– للقوانين التي تتحكم بالإنسان ، ومن إبداع لعالم جديد، إنّما هي تعبير عن أزمة الإنسان في واقعه المعاصر.

ففي عصرنا الراهن ، عصر العلم والتطور والتقنية، قد لا يغيب عن تفكير إنساننا المعاصر ما كان يؤمن به أجدادنا القدماء، وقد تكون الحياة المدنية وما أنتجته من تقدم تقني أبلغ الأثر في العودة مجدداً إلى الخرافة والسحر، وإنّما بأسلوب جديد، وهدف جديد. فـ ((ثمة أشياء قديمة ومنسية، تبدو كأنّ الزمن قد عفّ عليها، تبقى محفوظة فينا، وتستمر في إحداث أثرها علينا، (دون أن نعيرها اهتماماً في الغالب)، وفجأة تطفو على السطح وتكلمنا أشبه بأشباح "هادس" التي غذاها "أوليس" بدمه. وفي مراحل مختلفة ، وتبعاً للوضع الاجتماعي وحاجات الطبقات الصاعدة، أو المنحدرة، تعود إلى ظهور أشياء متعددة كانت كامنة أو مفقودة وتستيقظ على حياة جديدة....))[5].

فالعجائبية كشكل من أشكال القص تقدّم عالماً مختلفاً ، مدهشاً ببكارته، ويشدّ الانتباه بكثافته، وكل هذا لا يخرج عن فهم الأديب ، ووعيه للحياة الخاصة التي يحياها الإنسان المعاصر، وتعبير عن مخزون الطاقة الداخلية للفرد المأزوم لحظة انفجارها. فالكبت مثلاً يكون مصدراً لأمراض نفسية عديدة لا يعيها الإنسان ، ولكنّها تكون دافعاً لتوليد العديد من الأفعال والسلوكيات الغريبة. ومن هنا يمكن القول : إنّ ((كل شيء في الرواية المعاصرة يجري كما لو كان الزيف – أي الممكن والمستحيل والمفروض والكاذب... الخ – وقد صار أحد الموضوعات المفضلة للإبداع الخيالي المعاصر، لقد ظهر نوع جديد من القصاصين: هذا القصّاص الجديد ليس فقط إنساناً يصف الأشياء التي يراها، وإنّما يخترع الأشياء من حوله ، ويرى الأشياء التي يخترعها. وهؤلاء الأبطال – القصاصون ما إن يسرعوا ولو لفترة قصيرة جداً في مشابهة " الشخوص" حتى يتحولوا إلى كذابين " شيزوفرانيين مهلوسين أو حتى كتاباً يخلقون حكاياتهم الخاصة بهم وحدهم)) [6].

إنّ غاية الأدب الأولى التعبير عن الإنسان ، وعن حالته القلقة المتشظية، ومهما اختلفت الطريقة أو الأسلوب يظل عالم الأدب هو عالم بشري ، والخيال الذي يعد ((قدرة على تشكيل صورة الأشياء / الأشخاص / مشاهد الوجود)) [7] لا ينشأ من فراغ، وإنّما ينطلق من واقع موجود، فيبعث فيه واقعاً آخر هو حصيلة تفاعل بين ذات الفنان، والواقع . ((وهذا يعني أنّ الخيال لا يستعين في تنظيم مادته بوسائل خارجة عن نطاق الذات الإنسانية ، وإنّه في إبداعه عوالم جديدة مرتبطة بالتجارب الشخصية والمدرك الحسي)) [8] .

إنّ الخيال مهما كان بعيداً عن قوانين الحياة ، ومجرياتها ، لا بدّ أن تكون العناصر التي تؤلّفه مأخوذة من الواقع، ومهما تبجح الفنان ((بأنّه لا يصور لنا إنساناً بل كائناً أروع منه. وإذا ما حاول أن يخلق شيئاً قائماً بذاته ليس

---

[4] أرنست فيشر . *ضرورة الفن* .تر: ميشال سليمان، (بيروت : دار الحقيقة ، د.ط ، د.ت)، ص14 .

[5] المرجع السابق. ص14 .

[6] آلان روب جرييه . *نحو رواية جديدة* .تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، (مصر : دار المعارف، د.ط ، د.ت) ، ص143 .

[7] سعيد علوش . *معجم المصطلحات الأدبية* . (بيروت : دار الكتاب ، ط1 ، 1985) ، ص 87 .

[8] عاطف جودة نصر . *الخيال مفهوماته وظائفه* . (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط)، ص 264 .

له شبه في الواقع، فإنّه يسقط عاجزاً دون أن يعطينا سوى شبح ضبابي باهت وغير محدد لا نستطيع أن نتبين منه شيئاً على الإطلاق))[9].

إنّ الأديب مهما حاول التحليق فوق الواقع، لن يستطيع تجاوزه كلياً، بل سيحمل معه في تحليقه موجودات الحياة الواقعية. فإن تصورنا ((إنساناً له جناحان، فالإنسان ذو الجناحين ليس له وجود بما هو كذلك، لكنّه موجود بعنصرية : الإنسان والجناحين، ولكنّهما لا يجتمعان معاً إلاّ في الخيال .... ، إنّ الموضوع كثيراً ما يكون عناصر متنوعة مبعثرة، يقتطعها الفنّان من الكل، ثم يؤلّف بينها على نحو من الأنحاء. إنّ هذا كثيراً ما نصفه بأنه من عمل الخيال. لكنّنا إذا أمعنا النظر فيه، وجدناه ينتمي إلى الواقع ... ومن هنا كان الخيال واقعياً بعناصره، وإن كان خيالياً في جمعه وتأليفه))[10].

ولعلّ المسألة تبدو أكثر وضوحاً، إذا ما نظرنا إلى هذا المعنى لانعكاس العلاقة بين الواقع والخيال، ففي مثل هذه العلاقة يشكل الواقعي عادة ما يجري في الحياة ، ويشكل الخيالي صورة الرغبة أو الطموح، أو حتّى الهرب، وهنا يبدو كل ما ينتجه إبداع الإنسان مجرد خيال، حتّى وإن حاول أن يقلد أحداث الواقع وشخصياته، فـ((انطلاقاً من المبدأ القائل بأنّ الخيال يتدخل في الملابس، أو في الطعام ، يصير في الميسور القول بأنّ كل رواية أو قصة، أو قصيدة، أو مسرحية أخيولة مهما تكُ درجة واقعيتها أو سيرياليتها، وذلك لأنّها لم يقيض لها أن تجري إلاّ في خيال كاتبها وحسب ...))[11].

فالخيال إذن يتدخل حتّى في القصص التي تعتمد الواقعية منهجاً لها، وتحاول أن تصوغ عالماً مشابهاً للعالم الذي نحياه، وتقنعنا بحقيقة ما تروي بطريقة منطقية. وبما أنّ أغلبية القراء يتعطشون عطشاً جنونياً إلى الاقتناع، فقد ظلت الرواية الواقعية ((تطالب الروائي باختيار ما يجده دالاً على جوهر الواقع وآليته وحركته الاجتماعية. على أن يبني هذا الاختيار واقعاً روائياً متخيلاً لا تخرج أطره العامة وجزيئاته عن الواقع الحقيقي الذي تم الاختيار منه)).[12]

لقد سنت القصة قوانينها ، ودعت المبدعين إلى التزامها، و لكن لو أنّ الفنّان قدم صورة طبق الأصل عن الواقع، إرضاءً لتلك القوانين ((لرأى تفاهة عمله ، ونبذه وراءه ظهرياً، قبل أن ينبذه الجمهور)) [13] .

لقد أسست العجائبية عالمها عبر آلية الانزياح عن مألوف الواقع وقذفته في عوالم الحيرة والغرابة .

فالمسألة التي تعرض هنا هي علاقة العجائبية بالواقع، ومبادلات التأثير والتأثر. إنّ الواقع والخيال قطبان متنافران – هكذا يبدو الأمر ظاهرياً على الأقل – بين ما هو كائن، وما يمكن أن يكون، ولكن هذا التنافر ظاهري في الأدب، ذلك أنّ غاية الأدب الأولى تصوير ما يمكن أن يكون، أو ما يجب أن يكون عليه واقع الإنسان. ولذا فإن علاقة الكاتب اليومية بمجتمعه وثيقة ، ومتعددة الأطراف دائماً، ومهما بدا أنه يعزل نفسه عن مجتمعه ، فإنّه لن يستطيع ، ((ولذا فإنّ علاقته بالواقع اليومي هي علاقة بضميره وضمير مجتمعه معاً، بضمير أمته وضمير الإنسانية كلها في آن))[14].

---

[9] ن . غ. تشرنيتسفسكي. *علاقة النص الجمالية بالواقع*. تر : يوسف حلاق،(دمشق: وزارة الثقافة،1983) ،ص180 .

[10] تيسير شيخ الأرض. *الفحص عن أساس الفنون*.(دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1991)، ص183–269 .

[11] يوسف سامي اليوسف. *الخيال والحرية*.(دمشق: دار كنعان، ط 1، 2001) ، ص53 .

[12] سمر روحي الفيصل. *الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية*.(دمشق: اتحاد الكتاب العرب،1986) ، ص 71 .

[13] تيسير شيخ الأرض. *الفحص عن أساس الفنون*. ص 61 .

[14] مجموعة مؤلفين. *الإبداع الروائي اليوم*. (اللاذقية: دار الحوار، 1994) ص 40.

لقد أسهمت القصة الحديثة في إخراج الواقع من ثقله، ونزعه من استقراره، أسهمت في خلخلة قوانينه، لتنتج واقعاً جديداً، تقدّم من خلاله رؤيا جديدة إلى العالم. فالأدب يقترن بفعل الخلق، إنّه يعمل ضمن الكون الذي قد لا ينسجم معه، مما يدفعه إلى تغييره وفق ما ينسجم مع روحه ، حتى وإن بدا هذا الواقع الجديد غريباً. ومن هنا يُشار إلى اللاوعي في دوره الفاعل في خلق التحولات المولدة للشذوذ. حيث يمارس الإنسان طقوسه الخاصة، بحرية تامة بعيداً عن القيود، منطلقاً باتجاه حياة أخرى غريبة وغنيّة، تبدو لاواقعية ظاهرياً. إنّ ((الكاتب ليس ساحراً ولا حالماً. والأدب لا يعكس الحياة، بل إنّه أيضاً لا يهرب ينسحب من الحياة: إنّه يبتلعها. والخيال لا يتوقف حتى يبتلع كل شيء ... الأدب ليس ديانة، ولا يطرح نفسه للإيمان. ولكن إن نحن أحجمنا عن رؤيته الممتدة خارج عقولنا، أو أصررنا على أن يكون محدداً بشتى الطرق، فإنّنا نميت شيئاً في داخلنا، وربما كان الشيء الوحيد المهم للإبقاء علينا أحياء))[15].

إذن لا يمكن وضع قيود على الخيال الإنساني ، وهكذا قد يجد الإنسان نفسه في مواجهة أفكار عدة: فمن الواقع إلى الفن، ومن الفن إلى الواقع . وما العجائبية إلاّ سعي لخلق واقع جديد، وسعي لجعل أطر العالم الذي نؤمن باستقراره تتداعى، إنّها تحتوي في داخلها غموضاً جوهرياً سرياً.

إنّ الواقع العجائبي وما فيه من خصائص مشبعة بالإيحاءات، قادر على النفاذ إلى أعماق الشخصية، عن طريق الحلم واللاشعور، وإخراج الواقع بطريقة جديدة، إخراجاً يرتبط مع أكثر الأمور بعداً عن الواقع، ويولد من هذا الامتزاج بين المنطق واللامنطق، إدخال مختلف للقارئ في عالم القصة وأحداثها. لقد ((فجر العجيب المخيلة الروائية فباتت للصورة الروائية المفردة أو البسيطة أو المركبة أو المشهدية عناصر أخرى وتركيب آخر ، يتفاعل فيه استثمار المكنون الصوري التراثي السردي الشفوي والشعبي ، الديني والدنيوي ، ويبتدع جديده الرمزي أو اللعبي وحسب))[16] .

ففي العجائبية نتلمس وقع الحدث على نفس الأديب، نتمكن من ولوج الحياة الداخلية بكل حرية، تلك الحياة التي كثيراً ما قيل عنها: إنّها نتاج خيال عاطلٍ، وكثيراً ما ارتبطت بغرابة الأطوار أو الشذوذ، أو حتّى الجنون.

إنّ الصور المرتبطة بالهذيانات الكامنة في اللاوعي ما هي إلاّ واقع آخر، يتولى الأديب بما أوتي من قدرة على التعبير إظهارها بحرية. فالأعمال القصصية الجديدة، كثيراً ما تقدم وقائع تتسم بالغرابة أو باحتمال حدوث بعيد.

إنّ الخيال يلازم الإنسان كلّما كان الواقع قاسياً على أحلامه. وبذلك فإنّ ارتباط العجائبية بكل ما هو فوق الواقع أمرٌ بديهي، فرضته طبيعة هذا النوع من القصة أولاً، وفرضته – في أحيانٍ كثيرة – حاجة الإنسان الروحية، ولكن هذا الارتباط لا يعني بشكل من الأشكال أن العجائبية ترتفع عن الواقع، بل على العكس، إنّها تشرحه وتبسطه، وتتخذ منه موقفاً من خلال إعادة إنتاجه، إنّ ((وجود الواقعي هو بداهة، فليس هناك رواية فانتاستيكية تفتقد جذوراً في الواقع ...))[17].

وبذلك يمكن القول : إنّه مهما ابتعدت القصة العجائبية عن قواعد المنطق المتعارف عليها، فهذا لا يعني بطريقة من الطرق أنها تنفصل عن الواقع. إنّ القصة العجائبية أسلوب من أساليب التعبير عن الواقع، برؤيا جديدة ، فهي ترصد الأشكال والأحداث الأكثر شذوذاً، وترصد تفاصيل الحركة الداخلية في أدق تفاصيلها، وما تحويه من مبالغة وتضخيم، تبعدها ظاهرياً عن الواقع، ابتعاداً يعمد في أحيان كثيرة إلى التشويه، ويقربها من منطق الحلم بكل ما فيه من

---

[15] نورثروب فراي . *الخيال الأدبي* . ص 49 .

[16] نبيل سليمان . *الكتابة والاستجابة* . (دمشق: اتحاد الكتاب العرب ، 2000) ، ص15 .

[17] شعيب حليفي . *شعرية الرواية الفاتاستيكية* . (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 1997) ، ص 45 .

غموض وغرابة. ((ذلك بأن العمل الأدبي ، وإن يكن مرتبطاً بالحياة لا يتكون إلا من خلال تشكيل متخيّل وعلاقة متخيلة))[18] .

فليس من قبيل المصادفة أن يلعب الخيال الدور الأهم في القصة العجائبية، ذلك أنّها تقدّم أحداثاً تسمح من خلالها للاوعي بالتعبير عن نفسه، وعن طاقاته الدفينة ورغباته وحاجاته، التي لا يصّرح عنها مباشرة، وتخرج ما يعتمل فيه على شكل كائنات خرافية، وأشكال رامزة ، وصور غريبة، تظهر القصة وكأنّها رحلة استكشاف خارج الزمان والمكان.

وأيّاً كانت المعالجة التي تطرأ على الواقع الروائي فإنّه واقع تخييلي ، أو بصورة أكثر صحة واقع الرواية، إذ إن لشخصياتها ولادة وموتاً ومغامرات في الرواية . وبهذا المعنى يمكن القول: إنّه لا وجود لواقع في رحلات غوليفر أكثر ولا أقل مما فيه السيدة بوفاري.[19]

ويبقى الواقع نقطة الارتكاز لأي عمل فني ذلك أن ((الاتجاهات الأدبية كلّها تعالج الواقع، وليس هناك أدب لا علاقة له بالواقع)).[20]

ولكنّ انفتاح العجائبية على الجانب الذاتي – في كثير من الأحيان– أدّى إلى خروجها عن القوانين الموضوعية لمجريات الحياة الواقعية، فهي لا تشبه الحياة شبهاً كلياً، وإنّما تصوّر الإنسان وأحلامه ، وعلاقاته، وتناقضات عالمه الداخلي، مستندة إلى الفهم العميق لعلاقة الإنسان بنفسه وبمحيطه .

وهي إنّ تفعل ذلك فإنّها لا تأتي خالية من الهدف، إنّها في الغالب صوغ مختلف لعلاقة الإنسان مع واقعه، واكتشاف جديد للقوانين التي تنظم هذه العلاقة.

خاتمة:

إنّ نقل الحقيقة بأمانة وهي غاية كل فن لا تتحقق كلها من خلال مماثلة الواقع فقط . وإنّ التعصب لمثل هذا النوع من النقل سيكون عائقاً أمام عدم اكتمال المعرفة الدقيقة للواقع بأبعاده المختلفة، وللذات الإنسانية في واقعها وظروفها، فالحياة أغنى وأوسع من أن تشملها رواية أو قصة مهما تنوعت أساليبها ، واختلفت غاياتها. والعجائبية تلامس جزءاً من هذه الحياة، جزءاً لا يستطيع الإنسان إغفاله مهما كانت درجة تعصبه للواقع.

وفي الحياة اليومية هناك جانب روحي قصي يعيش جنباً إلى جنب مع إنسان الحاجات والأعمال، إنسان الحياة اليومية، وتبقى العجائبية وسيلة لإثارة الواقع وتفعيله، وفتح أبواب، وتقديم أسئلة، وعرض مواقف وحوادث، وهي في غرابتها وابتعادها عن الواقع ، أشدّ التصاقاً به ، وأكثر قدرة على التعبير عنه.

الاستنتاجات والتوصيات:

– إنّ العلاقة بين الواقع والخيال تتشعب ضمن إطار العجائبية إلى دلالات واسعة، فالاختلالات التي تولد هذيانات ومسوخات ، تتفرد بقدرتها على رفد الكاتب بمجالات واسعة تمكنه من الغوص في قضايا الواقع، والتعبير عنها بوضوح وشفافية.

---

[18] نبيلة ابراهيم . *فن القص بين النظرية والتطبيق* . (القاهرة : مكتبة غريب ، 1994)، ص168 .

[19] ينظر : مارت روبير . *رواية الأصول وأصول الرواية* .تر: وجيه أسعد،(دمشق : اتحاد الكتاب العرب، 1987) ، ص70

[20] سمر روحي الفيصل . الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية. ص21 .

– تستمد العجائبية أحداثها من موارد عدة، تحقق حضوراً مدهشاً ، وتخلق تعارضاً ظاهرياً مع الواقع الذي تتحرك فيه ، ولكنّها وعلى الرغم من ذلك تعزز اتصالاً خاصاً بها، يتوحد في بنية الواقع وتعكس موقفاً خاصاً من الحياة والكون والإنسان.

– إنّ العجائبية غير منفصلة عن الواقع ، وإنّما هي حصيلة التفاعل الغني بين الواقع والخيال، وبذلك تبدو العلاقة ضمن هذا السياق علاقة متداخلة تتبادل التأثير والتأثر.

المراجع :

1. ابراهيم ، نبيلة . فن القص بين النظرية والتطبيق . القاهرة : مكتبة غريب ، 1994.
2. تشيرنتسفسكي ، ن.غ. علاقة النص الجمالية بالواقع. تر : يوسف حلاق، دمشق : وزارة الثقافة ، 1983 .
3. تودوروف ، تزيفيتيان. مدخل إلى الأدب العجائبي. تر: الصديق بو علام، القاهرة: دار شرقيات، 1994 .
4. حليفي ، شعيب . شعرية الرواية الفانتاستيكية . القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ، 1997 .
5. جيرييه ، آلان روب . نحو رواية جديدة. تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، مصر : دار المعارف، د.ط ، د.ت.
6. روبير ، مارت. رواية الأصول وأصول الرواية . تر : وجيه أسعد، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1987 .
7. سلميمان ، نبيل . الكتابة والاستجابة. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2000 .
8. شيخ الأرض ، تيسير. الفحص عن أساس الفنون. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1991 .
9. علوش، سعيد . معجم المصطلحات الأدبية. بيروت : دار الآداب، ط1 – 1985 .
10. فراي ، نورثروب. الخيال الأدبي. تر: حنا عبود، دمشق: وزارة الثقافة ، 1995 .
11. فيشر ، أرنست . ضرورة الفن . تر: ميشال سليمان، بيروت : دار الحقيقة ، د.ط – د.ت .
12. الفيصل ، سمر روحي. الاتجاه الواقعي في الرواية العربية. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1986 .
13. مجموعة مؤلفين . الإبداع الروائي اليوم . اللاذقية: دار الحوار، 1994 .
14. نصر ، عاطف جودة. الخيال مفهوماته وظائفه . مصر : الهيئة العامة للكتاب، د.ط ، د.ت .
15. ولسن ، كولون. الإنسان وقواه الخفية.تر: سامي خشبة، بيروت: دار الآداب، ط5 – 1987 .
16. اليوسف، سامي اليوسف. الخيال والحرية . دمشق: دار كنعان، ط1 – 2001 .